المراكز العلمية في مدينة القدس في عصر دولة المماليك البرجية(784هـ /922م –1382–1516م)

*د. أسامة سعد علي الشيلابي

المستخلص: تمحورت الدراسة حول طبيعة الحركة العلمية في مدينة القدس خلال عصر المماليك ومن ثم وصف النظام التعليمي في القدس والعوامل المؤثرة فيه، ومدى تأثير الوقف الإسلامي في تسيير الحياة العلمية والحفاظ على المؤسسات الدينية والعلمية من الانهيار, كذلك التطرق لطبيعة الهرم الوظيفي والعلمي للمؤسسات العلمية في المدينة وانعكاسه على التقدم الحضاري، والإنتاج العلمي لعلماء القدس.

الكلمات المفتاحية: القدس . دولة المماليك الجراكسة. مراكز التعليم . المدارس . الزوايا . الرباطات . الخوانق .

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين، وبعد:

شكلت مدينة القدس عبر العصور القديمة والحديثة مادة دسمة للدراسة والبحث في تاريخ المدينة منذ القدم وتاريخها العربي والإسلامي والحضارات المختلفة التي مرت عليها عبر العصور، فكان تراث القدس وتاريخها الحضاري مصدرا للفخر ومجالا للدراسة لكل عربي ومسلم غيور على دينة ومتمسك بمقدساته الخالدة وبمسرى رسوله الكريم عليه أشرف الصلاة والتسليم.

تغوص الدراسة في عمق التاريخ الحضاري لمدينة القدس خلال عصر دولة المماليك الجراكسة وطبيعة تكوين المؤسسات التعليمة ودو السلاطين الجراكسة في الاهتمام بالحركة التعليمة والتكالب على بناء الكتاتيب والمدارس والزوايا في مدينة القدس لما لها من عمق وسياسي وديني مؤثر في حياتهم، كذلك التعرض لطبيعة المراكز التعليمية في القدس والمؤسسين لها والواقفين عليها والحجج الوقفية لكل مؤسسة تعليمية مقدسية ومن ثم الخوض في دور المراكز في الحياة العلمية وأشهر علمائها ومآثرهم في حياة المدينة المقدسة.

تتبع الدراسة المنهج السردي التاريخي التحليلي في سرد المعلومات التاريخية وحياة ملوك المماليك الجراكسة ودورهم في دفع مراكز التعليم في القدس نحو الازدهار وتحليل تجارب المراكز في نشر العلوم وتحفيز الطلاب والعلماء على السير في طريق التعليم ونشر الثقافة المقدسية، حيث ساهمت المراكز التعليمية بصورة واضحة في خلق نوع من التنوع الثقافي والمذهبي في مدينة القدس فتدافع عليها الواقفين والطلاب والشيوخ من كل البقاع لتدارس العلوم المختلفة، كذلك لعب سلاطين البرجية الدور الهام في قيامها وتأسيسها وضمان استمرارها والصرف عليها والتكفل ببقائها تحمل اسمائهم وتزهر بها بساتين العلم في القدس الجركسية.

*محاضر، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اجدابيا osama_elshilabi1979@yaho.com.my

أولا: مدينة القدس:

تعتبر مدينة القدس من أقدم المدن في التاريخ وتعنى في اللغة التقديس والتطهير أو المدينة المباركة المطهرة، حيث مر على حكمها الكثير من الدول والحضارات القديمة، وقد ذكرها العديد من المؤرخين والرحالة ووصفوا قدسيتها بقولهم بأنها أرض الوحي ومهبط الرسل وقبله الشرائط (أبن منظور، 1994م،ص122) حيث تقع المدينة وسط فلسطين منحرفة نحو الشرق يحدها من الشمال مدينة نابلس ومن الجنوب بيت لحم والخليل ومن الغرب يافا وشرقا أريحا ، وهي مدينة مربعة الشكل لها موقع جغرافي مميز يعطيها صفة الحماية من الغارات الخارجية ومن ناحية أخرى يجعلها في اتصال دائم مع المدن المجاورة لها (القزويني، 1960،ص 159 .

شكلت مصادر المياه تحديا كبيرا لسكان مدينة القدس عبر العصور وعاملا مهددا للاستقرار والازدهار فقد خلت المدينة من الجداول والانهار وتصدرت مياه الأنهار كأحد العوامل الرئيسية لتزويد المدينة بالمياه (خسرو،1970،ص65)، في حين عمد سكان المدينة إلى تخزين مياه الامطار في الصهاريج والخزانات لتزويد المدينة بالمياه عند نقص الامطار وعدم انتظامها في فصلى الخريف والشتاء (الحموي ،1995م،ص168)، كذلك اعتمدت المدينة على البرك المائية لنشر الحياة في ربوعها فمنها برك داخلية تقع داخل سور المدينة وأخرى خارجها لتخزين المياه لفترة طويلة(أبو الفداء،1830م ،ص 167).

كما تحتوي المدينة المقدسة على قسمين: القدس القديمة التي تشمل السور القديم والمعالم المقدسة من الصخرة المشرفة وكنيسة القيامة فيما تقع القدس الحديثة خارج السور وتتميز بالعمران الحديث والمساكن المنظمة، فمنذ القدم شهدت المدينة تطورا عمرانيا تحت سيطرة الرومان وبلغت مساحتها حوالي 2 كيلو مربع، فيما وصلت المدينة الي قوة التطور مع بداية الفتح العربي للمدينة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث أرسل الخليفة عمر لفتح المدينة جيشاً قوامه ثلاثين الفاً فحاصر جيشه المدينة وتم التفاوض على فتحها صلحاً ولكن سكانها لم يسمحوا بتسليمها إلا لخليفة المسلمين شخصيا فقدم الخليفة لتسلم المدينة ومبايعة أهلها على عقد الأمان والذمة ودفع الجزية سنة 15هـ/ 636م (عرفة، 2007ص25).

استمرت المدينة المقدسة تحت الحكم الإسلامي حتي عصر الحروب الصليبية حيث وقعت تحت السيطرة الصليبية وتم استعادتها في عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي في المرة الأولى في معركة عين جالوت سنة 583هـ /1183م لتسلم إلى الصليبين مرة أخرى ويستردها نهائيا السلطان الصالح أيوب سنة 642هـ /1242م، وبعد سيطرة المماليك على بلاد الشام عقب معركة عين جالوت سنة 658 هـ /1260م قسموا بلاد الشام إلى ستة أقسام إدارية كبرى وهي نيابة دمشق ونيابة حلب ونيابة حماه ونيابة

الكرك ونيابة صفد ونيابة طرابلس ولكل نيابة حاكم بمرتبة أمير يسير أمورها ويلقب بنائب السلطان، وقد استمرت القدس تابعة لنيابة دمشق حتى اصبحت عام 777م /1375م نيابة مستقلة تتبع السلطان المملوكي في القاهرة مباشرة(القلقشندي،1914م،180/6).

ثانيا: دولة المماليك االجراكسة:

يرجع الفضل في تأسيس فرقة المماليك الجراكسة إلى السلطان المنصور قلاوون أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية للاعتماد عليهم في تأسيس فرقة خاصة به لتقوية نفده وتدعيم مركزه في وجه كبار المماليك المنافسين له، وحتى يضمن ولائهم عمد إلى شراء فرقته من غير أجناس الترك والتتار والتركمان وأقبل على شراء جنس الجراكسة وهم ينتمون إلى بلاد الكرج (جورجيا) من الجنس القوقازي وموطنهم في المرتفعات الجنوبية من بلاد قبحاق الواقعة بين بلاد قزوين والبحر الأسود وبعد غارت الدولة الخوارزمية أصبح الرجال والنساء أسراء لديهم وتم بيعهم في أسواق النخاسة وانخفضت اسعارهم لكثره اعدادهم فاشترى المنصور اعدا كبيرة منهم وبلغ عددهم ما يقارب ثلاثة الاف وسبعمائة مملوك حيث امتازوا بالقوة والشجاعة والجمال واغلبهم على دين النصرانية (المقريزي، 1991م،391/3).

شرع السلطان المنصور قلاوون في عزل فرقة المماليك الجراكسة عما حولهم وفرض عليهم العزلة عن غيرهم من المماليك حتى لا يتأثروا بهم فحرص على تربيتهم في أبراج القلعة وعدم السماح لهم بمغادرتها حيث أطلق عليهم لقب البرجية لمعيشتهم في أبراج قلعة الحكم، واستمر حالهم على ذلك حتى وفاته فتعهد أبنائه من بعده بالفرقة إلا انهم لم يتمكنوا من حبسهم في أبراج القلعة حيث ازدادت أعدادهم وبلغت حوالي 5000 مملوك (المقريزي،1991م،1/ 214).

في عهد السلطان الأشرف خليل سمح للجراكسة بالتجول في الطرقات خلال النهار والعودة للقلعة قبل المغرب للمبيت فيها، حيث تعرفت الفرقة على الأحوال العامة للبلاد، كما منحهم الأشرف خليل العناية والاهتمام وقلدهم المناصب الإدارية وخصهم بالترقيات ودفع لهم مرتبات مجزية فضلا عن تعليمهم أصول الدين وتدريبهم على استعمال الرماح، فقويت بذلك شوكة المماليك الجراكسة و حازوا على الامتيازات وصارت لهم الضرائب والمكوس(أبن إياس ،1984م ،ص120) ، من ناحية أخرى وجد المماليك الأتراك أنفسهم محاطين بمنافس جديد كن غير جنسهم يحظى باهتمام السلطان فظهرت بذلك بذور التعصب والعنصرية بين المماليك الأتراك والمماليك الجراكسة فاجتمع الناس عليهم واصبح لهم الكلمة العليا في اختيار السلاطين وتنصيب الملوك في دار الحكم (المقريزي،1997م،857/3).

استمرت سيطرة المماليك الجراكسة على مقاليد الأمور حتى برز أحد زعمائهم في عصر السلاطين الصغار من أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون يدعى الأمير برقوق(المقريزي،1997م،3/) 42 ،فقد استطاع ان يتقلد منصب أتابك العسكر سنة 780 هـ/1378م فكان على قدر من القوة الهيبة في ظل وجود سلطان ضعيف صغير السن لم يتجاوز الست سنوات من عمره وهو السلطان علاء الدين على(778-783هـ/1376-1381م)، حيث كان في مقدرة الأمير برقوق الاستحواذ على الحكم بعد وفاة السلطان علاء الدين في سن الثانية عشر من العمر إلا إنه شعر بعدم نضح الموضوع لكثرة المنافسين له فعزم على إبقاء الحم في بيت قلاوون فجمع الخليفة وكبار الأمراء ورجال الدين وأشار عليهم بتنصيب أمير حاجي حفيد السلطان الناصر وتم إعلانه سلطانا في سن الحادية عشر من العمر، لم يستطع السلطان الصغير الوقوف في مسار الأمبير برقوق الذي فرضه دوره في كل مؤسسات الحكم وخص أصحابه بالوظائف العليا والامتيازات وحاز على رضا الرعية في مصر فخفف عنهم الضرائب وأصر عمله جديدة للبلاد(أبن حجر،1994م،ص 149).

وقد سنحت الفرصة لحكم البلاد وتنحيه الملك الصغير فتحجج برقوق بضعف السلطان وعدم مقدرته على إدارة شئون البلاد في ظل الاخطار التي تواجهها، وعقد اجتماعا دعي له الخليفة وكبار الأمراء والقضاة وأقنعهم بعزل الأمير حاجي وتنصيب سلطان قوي قادر على الحكم واخماد الفتن فأجمع الحاضرون على خلع الأمير جاجي وتنصيب الأمير برقوق وتلقبه بالملك الظاهر وبعزل أمير حاجي ينتهي عصر دولة المماليك البحرية ويبدأ عصر دولة المماليك الجراكسة بقيادة الملك الظاهر برقوق سنة 784هـ/1382م(المقريزي،1997م ، 3/ 405) .

ثالثاً : دور سلاطين المماليك البرجية في تطوير المراكز العلمية في المدينة المقدسة:

سار المماليك البرجية على نهج من كان قبلهم في رعاية المقدسات الإسلامية حتى لا يوصفوا بإهمال مقدسات المدينة من أهلها وتدعيما لحكمهم بلاد المسلمين، حيث ساهم البرجية في دعم وتطوير مدينة القدس وترميم الحرم القدسي ودعم المؤسسات العلمية والحفاظ على التراث الإسلامي من الانهيار وتشجيع طلاب العلم على النهل من معين علومها الشرعية والعلمية، ومن هنا نستعرض دور سلاطين المماليك البرجية في تطوير النهضة العلمية في المدينة المقدسة من خلال مايلي :

- السلطان الظاهر برقوق:

تعددت الاسهامات العلمية في مدينة القدس في عهد السلطان الظاهر برقوق حيث عمد إلى تنصيب أفضل الامراء على المدينة منهم الأمير شهاب الدين أحمد اليغموري في منصب ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة في القدس سنة 796هـ/

1393موالذي قام بالتخييف عن أهل المدينة ورفع المظالم وإلغاء الضرائب والمكوس التي فرضها من كان قبله من الحكام ونقشت بذلك على رخامة مثبته على باب الصخرة من جهة الغرب (العليمي،1999م ، 166/1)

بالإضافة إلى إسهامات أخرى نذكر منها مساهمته في دعم حركة المراكز العلمية وتنشيط الحركة الفكرية في مدينة القدس خلال عصر المماليك البرجية ومنها ما يلي :

أ- خان السلطان برقوق:

يقع الخان على الطريق المؤدية إلى باب السلسلة وبنى سنة 788هـ/1386م على يد السلطان الظاهر برقوق وقد عرق قبل ذلك بالوكالة(المقريزي،1997م ، 24/1).

ب- قناة العروب المائية:

ينسب للطان الظاهر برقوق بناء قناة العروب سنة 785 هـ/ 1383م لتوفير المياه والمساهمة في تطوير مرافق المدينة المقدسة وترغيب الناس في دخولها والاندماج في مؤسساتها العلمية وقد عرفت القناة فيما بعد بقناة السبيل (العارف،1988م، ص207).

ج- تعمير دكة المؤذنين:

من أهم أعمال السلطان الظاهر برقوق في القدس تجديد دكة المؤذنين الواقعة بالصخرة المشرفة بجوار باب المغاربة من الناحية الغربية على يد نائب القدس محمد بن السيفي بهادر الفخري سنة 789هـ/1387م (العليمي،1999م،156/2).

د- تأسيس المراكز العلمية:

يرجع الفضل للسلطان برقوق في تشجيع الحركة الفكرية من خلال إنشاء المؤسسات العلمية والتعهد بدعم مسيرتها الفكرية ومنها المدرسة الجهاركسية والمدرسة الطولونية والمدرسة الفنرية، حيث لعبت دوراً بارزاً في دفع عجلة التعليم في مدينة القدس وماحوها(العليمي،1999م،86/2) .

هـ- بناء دار الست طنشق:

في عهد السلطان برقوق شيدت دار الست طنشق وعرفت بالدار الكبرى على يد الست طنشق بنت عبد الله المظفرية بين عامي 794هـ -800هـ /1392م-1398م حيث عرفت عند أهل القدس بتربة خاصكي سلطان، وقد استمرت الدار على

حالها حتى استعملها الاتراك مكاناً للتصوف فيما اتخذت داراً للأيتام في حقبة الحكم البريطاني للمدينة(الدباغ، 1991م،281/9) .

- السلطان الناصر فرج بن برقوق :

تولى السلطان الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر برقوق الحكم بعد وفاة أبيه يوم الجمعة سنة 801هـ/ 1398م وبايعه الناس بالسلطنة وخطب له على المنابر وتلقب بالملك الناصر، وفي سنة 808هـ/1405م نزل الملك الناصر في بلاد الشام وزار مدينة القدس وتجول في المدرسة التنكزية (المقريزي،1997م،484/3-450)

حيث ازجل العطاء لأهل المدينة وأنفق عليهم أموالا طائلة ورتب جميع أمورها الإدارية وأوصى بأن لا يتولى نائب القدس منصب ناظر الحرمين الشريفين ونقشت هذه الإصلاحات على حائط باب السلسلة على يمين الداخل من الباب(العليمي، 1999م،167/2)

- السلطان المؤيد شيخ المحمودي

السلطان المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري أبو الناصر الجاركسي، جاء به من بلاد الجاركس الخواجا محمود شاة اليزدي الذي اشتراه وهو صغير بثلاثة الأف درهم فضية وعمرة كان ما يقارب أثنى عشرة سنة إلى القاهرة سنة 782 هـ/1381م حيث اشتراه منه بعد ذلك الملك الظاهر برقوق وأعتقه ولما تسلطن جعله من خاصته وتدرج في المناصب وصار من أمراء الألوف ثم نصب نائباً للشام وطرابلس حتى تولى السلطنة سنة 815 هـ/1412م (أبن تغري بردي،1990م،338/6-340).

عرف عن السلطان المؤيد تشجيعه للعلم ورعاية العلماء وتعظيمه لمدينة القدس، حيث زار المدينة 820هـ/ وفرق على أهلها أموالا كثيرة وقدم المسجد الأقصى وصلى به وقرى مع جماعته صحيح البخاري واجتمع بكبار العلماء والفقهاء من القدس والقادمين معه من القاهرة وأنهى زيارته للمسجد بقيام الذكر والمداح فكانت زيارته مشهورة بين أهل القدس وتكريما لمكانة المدينة وتعظيما للعلم والعلماء القاطنين بها (المقريزي،1990م،450/6) .

كما وصفه أبن حجر بأنه كان يحب أهل العلم ويجالسهم ويقدر الأحاديث والسنن النبوية ويتبع تعاليمها ويتحاكم إلى الشرع غير مائل إلى البدع سعى في طريق الصدقات وأعمال البر كثير الوقف على دور العلم ومساهما في تطويرها (أبن حجر،1990م،310/6-311).

- السلطان الأشرف برسباي

هو السلطان الأشرف سيف الدين برسباي الدقماقي الظاهري من الأصول الجركسية جاء من بلاد الجركس فاشتراه الأمير دقمات المحمدي الظاهري ثم ارسله لخدمة الملك الظاهر برقوق مع عدد من المماليك حتى تولى الحكم سنة 825 هـ / 1422م، حيث شهد للسلطان الأشرف برسباي عمل الخير والتواضع والصفات الكريمة، فقد منع الرعية من عادة تقبيل الأرض بين يديه وتعهد بنفسه للقضاء بين الرعية وخصص لذلك يومي السبت والثلاثاء في مكان عرف باسم الإسطبل السلطاني (أبن تغري، 1990م،244/14).

من ناحية أخرى عرف السلطان الأشرف بتشجيع الحركة العلمية ودعم الموروث الثقافي وترسيخ دعائم الوقف الإسلامي فاشترى للوقف الضيع والقرى وحبسها لخدمة المتعلمين، وما بقي من الوقف سخره لصالح الصخرة المشرفة في القدس ونقش ذلك على حائط الصخرة في اتجاه قبة المعراج سنة 836هـ / 1432م، كما النجوم الزاهرة للملك الأشرف برسباي تجميل المسجد الأقصى بالمصحف الشريف الذي أهدى إليه بدمشق حيث وضع بداخل الجامع باتجاه المحراب وجعله وقفاً على المسجد الأقصى للقاري والخادم ويكون النظر فيه مخصص لشيخ المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف(العليمي،1999م،168/2).

وينسب للسلطان الأشرف برسباي تشييد العديد من المؤسسات العلمية في مدينة القدس بما يكفل التطور العلمي والانفتاح الثقافي في المدينة المقدسة وجذب العلماء واستدراج طلاب العلم ومن أشهر المدارس في عهده المدرسة الباسطية الواقعة شمال الحرم القدسي سنة 834هـ/1430م والمدرسة القادرية وموقعها في شمال الحرم القدسي شيدت عام 836هـ /1432م والمدرسة الحسينية بالقرب من باب الناظر أعلى رباط علاء الدين البصيري بنيت سنة 837هـ/1433م وكذلك المدرسة العثمانية تقع على مسافة أمتار من باب المطهرة أسست عام 846هـ /1436م (العارف ، 1990م،ص208)

من مآثر السلطان الأشرف برسباي تعمير الأسبلة المائية في مدينة القدس والحفظ عليها وصيانتها فتم في عهده تجديد سبيل شعلان الذي شيد في عهد الملك المعظم الأيوبي سنة 613هـ / 1429م، وموقعه في الجزء الشمالي من الحرم القدسي وتم تجديده مع المصلى والمحراب الذي بجواره سنة 832هـ / 1429م، حيث وثق ذلك على أحد حوائط السبيل منقوشة بالنسخ المملوكي وكتب عليها (جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب العبد الفقير إلى الله تعالى شاهين ناظر الحرمين الشريفين في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه بتاريخ شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وثمان مائة) (الدباغ،1991م،216/9) .

كذلك ساهم السلطان الأشرف في ترميم سبيل علاء الدين البصير في الجزء الغربي من الحرم القدسي، حيث وردت معلومات عن ترميم البناء على يد نائب السلطنة وناظر الحرمين الشريفيين الحامي قبجا في عهد السلطان الأشرف برسباي سنة 839هـ/ 1435م(السيد،1986م،ص 165) .

كان لهذه العمائر والأسبلة دوراً في تنشيط الحركة العلمية والدفع بها وتوفير مصادر المياه للمؤسسات التعلمية واستقرار تدفق الطلاب للنهل من معين مركز التعليم المقدسية، حيث ساهم ذلك في سريان أنهار العلم في القدس وضمان مقومات الحركة الفكرية، كما ارتبط بناء الأسبلة بجانب دور العلم لتلقى أيتام المسلمين القراءة والكتابة وعلوم القرآن، حقق ذلك انتشارا واسعا للمركز الأخرى من الزوايا والطرق الصوفية حول مصادر المياه فكان بناء وترميم الأسبلة من الواجبات الدينية لسلاطين المماليك البرجية ولدرهم البارز في نشر الدعوة الإسلامية وتقويه نفوذهم وصيتهم عند عامة الناس.

– السلطان الظاهر جقمق

أبوسعيد جقمق العلائي نسبة إلى الملك الظاهر برقوق، جلب من بلاد الجركس فاشتراه الأمير على بن الأتابك انيال ونشأ عنده فهذب تأديبه(المقريزي،1990م،382/7) ، تولى الحكم في ربيع الأول سنة 842هـ /1438م وبقي في السلطنة حتى مرض في آخر حياته وفوض أبنه بالحكم سنة 857هـ /1457م (أبن تغري،1990م،275/4)

عرف السلطان الظاهر جقمق بالصلاح والتدين وحب الخير للناس والتواضع أمام الجميع واهتمامه بالعلم والعلماء فكان مجلسه عامرا بالعلماء يستمع إليهم ويبالغ في احترامهم ويذلل لهم الصعاب وينفق على العلم وأهله(السخاوي،1992م، 72/3). ،كما أغدق السلطان على مقدسات مدينة القدس وخصها بالوقف وخاصة على القدس والخليل في عهد الناظر شمس الدين الحموي بمبلغ الفي دينار وخمسمائة دينار ذهبا ومائة وعشرين قنطارا من الرصاص برسم العمارة وكذلك مائة وعشرين غرار من القمح بما يعادل ألف وستمائة دينار(العليمي،1990م،169/2).

في أيام السلطان الظاهر جقمق نصب القاضي غرس الدين خليل السخاوي ناظرا للحرمين الشريفين بالقدس والخليل حيث أقام نظام الحرمين الشريفين ورتب وظائف المؤذنين وعمر أوقاف القدس وزاد عليها (العليمي ،1990م، 170/2) كما

ينسب للسلطان الظاهر المصحف الشريف الذي وضعه بالصخرة المشرفة باتجاه المحراب وجعل له قارئا خاصا وأصدر مرسوما بإنهاء المظالم في القدس الشريف ونقش ذلك على حائط المسجد الغربي عند باب السلسلة(العليمي،1990م،170/2)

ومن مآثر السلطان الظاهر جقمق في القدس إنهاء سيطرة النصارى وبنائهم في القدس حيث أرسل السلطان خاصكيايدعى إينال باي إلى القدس للكشف عن البناء داخل المسجد الأقصى وهدم ما استحدث بدير صهيون وانتزاع قبر داوود عليه السلام من النصارى وإخراج عظام الرهبان المدفونين بالمكان سنة 856هـ /1452م، فتم هدم الأبنية المستجدة للنصارى في بيت لحم وإخراج المسجد من دير السريان فأصبح زاوية فكان ذلك آخر أعمال السلطان بفعل الخيرات وإنهاء سيطرة النصارى على مقدسات الإسلام(العارف،1988م، ص200) .

- السلطان الأشرف إينال

هو أبو النصر إينال الناصري نسبة إلى الناصر فرج بن برقوق تولى الحكم سنة 857هـ / 1435م وهو الملك الثاني عشر من ملوك الجراكسة أعتقه السلطان الناصر فرج بن برقوق وجعله خاصكيا وتولى المناصب حتى وصل للحكم حتى توفى سنة 865هـ /1460م بعد ان ترك الحكم لولده الملك المؤيد أحمد والذي بقي في الحكم حتى خلع(العليمي،1990م،173/2،172).

تولى في عهده الأمير عبد العزيز العوافي المعروف بأبن المعلاق الأوقاف في مدينة القدس فاحسن تدبيرها ونظم أمور الوقف وصرف المستحقات إلى أهلها دون تقصير، كما ينسب للسلطان إينال وضع المصحف الشريف بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب باتجاه الشباك مقابل عين سلوان وجعل له وقفا وخصص له قارئا ، كذلك أوقف على القدس والخليل بقيمة ألف ومائتي إردب قمح ما يعادل أربعة الالاف وثمانمائة دينار مما يدل على تقدير السلطان إينال لمدينة القدس وآثارها العلمية وعظم مكانتها في قلوب المسلمين(العليمي،1990م،173/2) .

- السلطان الملك الظاهر خشقدم :

هو السلطان سيف الدين أبو سعيد خشقدم المؤيدي رومي الأصل اشتراه السلطان المؤيد شيخ ثم أعتقه ليتدرج في المناصب حتى تولى السلطنة بعد خلع السلطان المؤيد أحمد سنة 865هـ/1441م(السخاوي،1992م،256/15)، كما عرف عن السلطان خشقدم حبه للخيرات وتعمير المدن ومن ضمن أعماله في القدس الشريف تعمير قناة السبيل القادمة للقدس من عين العروب وبناء البركة الشرقية من برك المرجيع، كذلك اهتمامه بترميم المدينة المقدسة وأوقاف القدس والخليل التي أغدق عليها بمبلغ يقارب ثمان مائة وأربعون دينار(العليمي،1990م،174/2) .

من مآثر السلطان خشقدم تميز الصخرة المشرفة بمصحف شريف بجانب مصحف الملك الظاهر جقمق من ناحية الغرب، كذلك عنايته بإلغاء المظالم في القدس ونقش ذلك على حائط المسجد الأقصى من الجهة الغربية، في المجال العلمي ساهم السلطان في بناء مدرسة بجوار منارة باب السلسلة وتوفي سنة 872هـ /1448م (العليمي،1990م،2/175،174).

- السلطان الأشرف قاتيباي:

هو السلطان أبو النصر قاتيباي المحمودي الأشرفي الظاهري اعتقه السلطان الظاهر جقمق فترقى في المناصب فلما تولى الظاهر تمربغا عينه أتابك للعسكر، وقد ثبت أقدامه في السلطة حتى وصل للحكم سنة 872هـ /1468م، عرف عنه أعمال الخير والتقرب إلى العلماء وأهل التقوى عطوفا على الفقراء عادلا في أحكامة، كثير التعبد ومحبا للعلوم لم يكن له منافسا من الملوك وفعل خير الأمور ما لم يفعلها غيره(الشوكاني،1996م،2/55).

ينسب للسلطان الأشرف قايتباي تجديد الأبواب النحاسية عند مدخل قبة الصخرة من جهة الغرب حيث استبدل النحاس القديم فكان الجديد دقة في العمل والجمال من عمل أحد رجال الروم وقد نقش هذا الترميم على الجهة الشمالية أعلى الرواق الأوسط "بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الشريف. وأطراف اللطيف في أيام مولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي امده الله بنصره العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ناظر الحرم الشريف غفر الله له في الخامس عشر من محرم شهر الله المعظم سنة 894هـ /1488م (العارف،1988م،ص216)

كلف السلطان قايتباي عمال موالين له بنظارة الحرمين الشريفين من أهل الصلاح والحب لما له من تأثير على دفع عجلة الوقت والتعمير ونشر العلم في ربوع المدينة المقدسة ومنهم ناصر الدين النشاشيبي بمهمة ناظر الحرمين الشريفين فكان من أهل التقوى ساهم في تطوير الأوقاف ودعمها وأحسن إلى العلماء والفقهاء وأغدق عليهم فكانت ولايته خير ورخاء للمسجد الأقصى وعلمائه (العليمي،1990م،2/413-414)

في سياق متصل توجه السلطان قاتيباي لمدينة القدس للوقوف على أحوال الرعية ومصادر الوقف فوصل المدينة في الحادي عشر من رجب سنة 880 هـ/ 1474م وجاء معه بعض أركان دولته حيث شكا إليه الرعية من نائب القدس من جوره وظلمه لهم فاتخذ موقفا من أعمال الرشوة التي يقوم بها نائب القدس فقرر إلغاء الحسبة من نائب القدس وانصف الناس وأمره أن يرجع إليهم ما اخذه منهم(العارف،1988م،440) .

بعد فض الخصومات بين نواب القدس وعامة الناس والقصاص العادل صلى السلطان قايتباي المغرب في قبة الصخرة المشرفة ونزل إلى الجامع الأقصى حيث اوقدت القناديل على المتعارف عليه في ليلة نصف شعبان وجلس السلطان في محراب المسجد الأقصى وقرأت ختمات من المصحف الشريف وفي اليوم التالي جمع السلطان كبار عماله في القدس ونائب المدينة وطلب منهم إرضاء جميع خصومه ومصالحة كل من شكا عليه وبعد الانتهاء منها ناصحه السلطان بقوله: أحسن إلى الناس واحكم بينهم بالعدل والانصاف بالشرع الشريف وان شكا عليك احد بعد اليوم قطعتك نصفين" (العليمي،1990م،422/2)

ساهم السلطان الأشرف قاتيباي في إنشاء وتعمير المؤسسات المائية في مدينة القدس لما لها من دور في ترسيخ جذور العلم واستدامة الحياة الفكرية وتوفير سبل العيش للعلماء والطلاب في القدس، حيث أسس في عهده شمس الدين محمد بن الزمان الرباط الزماني في القدس الواقع شمال الطريق المؤدية إلى باب المطهرة، كما شيد السلطان قاتيباي السبيل الكائن بين باب السلسلة وباب السكينة، وتجديد بناء السبيل الكبير داخل الحرم القدسي في مقابل درج الصخرة ناحية الغرب وقد استخدم الملك قاتيباي في تجديد السبيل الكبير حجارة اخذت من قبور السلاطين(العارف،1988م،ص213).

ومن مآثر السلطان قاتيباي إنشاء المراكز العلمية في مدينة القدس منها المدرسة الأشرفية عند باب السلسلة والتي كانت بداية تأسيسها في عهد السلطان الظاهر خشقدم وبعد وفاته اسلتم السطان قاتيباي مهمة تأسيسها والأشرف على بنائها فنسبت له بعد ذلك ونقش ذلك على جدران المدرسة سنة 887هـ /1482م (العليمي،1999م،413/2)

على الرغم من الإصلاحات الإدارية التي سادت عصر السلطان الأشرف قاتيباي من تعمير الأوقاف والدفع بعجلة الأعمار العلمي والضرب على أيدي المرتشين من نواب القدس وإرجاع الأموال إلى أهلها وإبطال المظالم وتحفيز العلماء على السير قدماً في سبيل نشر العلم في المدينة المقدسة، إلا أن ذلك صاحبه بعض المشاكل والاضطرابات الدينية بين المسلمين وسكان القدس من أهل الذمة حول الإنشاءات المستحدثة في المدينة المقدسة من الكنائس وما نتج عنها من مشاحنات فيما بينهم ، إضافة للكوارث الطبيعية التي عصفت بالمدينة من تفشي الأمراض والمجاعات بين الناس وتأثيره على مسار الحركة العلمية ، خلافا لذلك بقيت المراكز العلمية مزدهرة تعج بالطلاب والعلماء وتساهم في نشر العلم ونبذ التطرف في مدينة القدس وما حولها(العارف،1988م،ص 213).

- **المراكز العلمية في مدينة القدس زمن دولة المماليك الجراكسة**

تنوعت المؤسسات التعلمية في مدينة القدس خلال عصر دولة المماليك الجراكسة لتسام في نشر العلم داخل المدينة وتستقطب الطلاب ورجال العلم من خارجها في مجالات العلوم المختلفة الشرعية والعملية فكانت بمثابة منارات تضئ مشاعل العلم في المدينة ومن أشهر المراكز التعليمية في المدينة المقدسة مايلي :

1- الكتاتيب:

الكتاتيب مفردها كُتّاب وهو مكان لتعليم الصبيان طرق الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم وعلومه (إبراهيم ،1998م،750/2) حيث تمثل الكتاتيب بداية الرحلة العلمية الأولى للأطفال يجتمعون فيها لتعلم القراءة والكتابة، فقد عرفت المدينة نوعان من الكتاتيب الأولى تعرف الكتاتيب الخاصة والتي يتعلم فيها التلاميذ العلوم الأساسية مقابل أجر يدفع لصاحب الكتاتيب والنوع الأخر يتلقى فيه الفقراء والايتام العلوم بالمجان وتدفع عنهم من حساب الوقف أو من صدقات المحسنين والسلاطين القادرين(النفر،2006م،ص 196-197).

إلى جانب ذلك كانت بعض الكتاتيب ملحق بالمدارس يتعلم فيه الأطفال العلوم الأساسية وحفظ القرآن والسلوك وطرق التعامل مع الأخرين ، حيث تولى الشيخ شمس الدين البسطامي- من شيوخ المذهب الشافعي عرف بأخي زرع يتبع طرق الصوفية حتى توفي سنة 875هـ/1470م- تعليم الأطفال الكتابة والقراءة والقرآن الكريم في المدرسة الكازية، كما الحقت الكتاتيب بالمدرسة الجوهرية، كذلك عرفت الكتاتيب في أرجاء المسجد الأقصى فقد ساهم الشيخ عمر بن إسماعيل الحنفي في تعليم التلاميذ في المسجد الأقصى في المكان المجاور لجامع المغاربة، كذلك كان لليهود والنصارى الحرية الكاملة في تعليم أبنائهم فكانت الكتاتيب الخاصة بهم ملحقه بدور العبادة في الكنائس والأديرة ويتمتعون بالحرية في تلقى علومهم ومعتقداتهم (العليمي،1999م،423/2).

2- المدارس:

شهد العصر الملوكي الثاني طفرة علمية في انشاء المراكز العلمية بصفة عامة والمدارس بصفة خاصة حيث تدافع الملوك والسلاطين البرجية على تأسيس المدارس في بيت المقدس لتكون شاهدا على آثارهم العلمية في القدس وسراجا علميا يضئ طريق التقدم العلمي في أرجاء المسجد الأقصى وما حوله ومن أهم المدارس في عصر المماليك البرجية ما يلي:

- المدرسة الطشتمرية

تقع المدرسة على الطريق نحو باب السلسلة في اتجاه حارة الشرف، حيث نقشت فوق الواجهة الشمالية تاريخ تأسيسها مكتوبه على رخامة مكتوب عليها بالخط المملوكي وبالحروف الكبيرة" أمر بأنشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف السيفي طشتمر العلائي نائب القدس وأتابك العسكر بالديار المصرية بتاريخ سنة أربع وثمانين وسبعمائة " (أبن تغري بردي،1993م،403/11) ، وما يميز الكثير من المدارس في عصير البرجية احتوائها على قبور المؤسسين والواقفين فقد احتوت المدرسة الطشتمرية على قبر مؤسسها طشتمر ودفن فيها أيضا أبنه إبراهيم ونقش ذلك على قبورهم داخل المدرسة سنة 795هـ 1393م(العارف،1988م،ص251).

- المدرسة الجهاركسية :

تنسب المدرسة لواقفها الأمير جهاركس الخليلي(791هـ/1389م) وموقعها في الجهة الشمالية من الزاوية اليونسية (المقريزي،1988م، 371/3)، حيث كانت في السابق كنيسة رومانية ويرجع تاريخ وقفها إلى أيام السلطان الظاهر برقوق سنة 791هـ/1390م(العليمي،1999م،93/2) .

- المدرسة الطولونية :

تقع المدرسة الطولونية داخل المسجد الأقصى من الجهة الشرقية، ويمكن الصعود إليها من السلم الواصل إلى منارة باب الأسباط، أسسها الواقف أحمد بن الناصري محمد الظاهري الطولوني(791هـ/1389م) من وجهاء مدينة القاهرة (أبن حجر،1994م) في عهد السلطان الملك الظاهر برقوق قبل(سنة 800هـ /1398م) ولم يكتب لها وقف إلا في سنة 872هـ /1412م (العارف،1988م،ص251) .

ومن أشهر من تولى التدريس في المدرسة الطولونية العلامة شهاب الدين أبو البقاء أحمد الزبيري المصري حيث قدم إلى القدس سنة 830هـ /1426م وأقام فيها وسمع الحديث واشتغل بالعلوم وانقطع للتدريس في المدرسة الطولونية للعبادة ولا يخرج منهاحتى توفى سنة 845هـ /1450م (العارف،1988م،ص252).

- المدرسة الفنرية:

موقعها مقابل للمدرسة الطولونية من جهة الشرق ويصعد إليها من السلم الواصل من منارة الأسباط، انشائها أحمد بن الناصري الطولوني مؤسس الطولونية وجعلها مقرا للملك الظاهر برقوق، وبعد وفاة الظاهر تسلمها ولده الملك الناصر فرج فرتب أمورها ونظم مصاريفها، وبعد وفاة الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف فاشتراها رجل من الروم يعرف بمحمد شاه بن الفنري

الرومي فنسبت إليه وسميت بالفنرية(العليمي،1999م،68/2) وقد استمرت المدرسة في تقديم رسالتها العلمية حتى بداية الفتح العثماني واندثرت مع الزمن وصارت مساكن للأفراد(العارف،1988م).

-المدرسة النصيبية :

تنسب للواقف الأمير علاء الدين على بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين، وتقع عند شمال الحرم القدسي حيث ولى نيابة القدس وأقام المدرسة ونظم أمورها قبل سنة 809هـ/1406م ثم توفي واقفها بالشام ونقل بعد فترة إلى القدس ودفن بمدرسته(على،1980م، 120/6) .

- المدرسة الكاملية:

تقع المدرسة عند باب حطة قرب المدرسة الكاملية من الناحية الشمالية، تولى وقفها الحاج كامل من أهل طرابلس حيث لم يكتب لها وقف فقام بعمل محضر دون فيه وقفها بتاريخ سنة 816هـ /1413م (العليمي،1999م،86/2).

- المدرسة الباسطية :

بدأ في بنائها شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين الشريفين وبعد وفاته أكمل بنائها القاضي زين الدين بن عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة حيث وضع وقفها ونظم أمورها سنة 843هـ /1430م وشرط على الصوفية قراءة الفاتحة عقب الحضور للمدرسة وإهداء ثوابها للهروي الذي توفى سنة 850هـ /1446م (العليمي،1999م،85/2).

- المدرسة القادرية:

تقع المدرسة داخل الحرم القدسي الشريف من الناحية الشمالية، حيث أسست في عهد الملك الأشرف برسباي سنة 836هـ /1432م وينسب وقفها للأمير ناصر الدين محمد بن ذي القادر فقد عمارتها زوجته مصر خاتون من مال زوجها ولم يعثر لها على كتاب وقف ويؤيد ذلك المؤرخ مجير الدين العلمي بقوله إنه لم يكتب للمدرسة كتاب وقف وكتب محظر بذلك في عصره سنة 877هـ /1472م (العليمي،1999م،86/2) .

نقشت على واجهة المدرسة بخط النسخ المملوكي وبحروف كبيرة متناثرة عبارات تأسيسها كتالي" بسم الله الرحمن الرحيم أنشأت هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن القادر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف خلد الله ملكه وذلك بتاريخ سنة ست وثلاثين وثمانمائة" (العارف،1988م، ص253) .

وقد استمرت المدرسة في خدمة الحركة الثقافية في المدينة المقدسة فكان لها سنة 971هـ /1563م إمام وأبواب وفرش وأجريت عليها الأوقاف من الخانات بباب القطانين مع الدكاكين للصرف على تحسين بنائها وترميم مبانيها ودفع أجور العاملين فيها من المدرسين والشيوخ ومنح الطلاب الوافدين عليها من خارج مدينة القدس واستمرت على ذلك حتى تحولت في عصرتا هذا إلى مكان تحفظ فيه نعوش الأموات(العارف،1988م،ص53).

- المدرسة الحسنية:

تقع المدرسة عند باب الناظر أعلى رباط علاء الدين البصير ، وينسب وقفها للأمير حسن الكشكلي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطان المملوكي بالقدس انتهى بنائها سنة 837هـ/1433م ، ويوجد مقابل المدرسة تربة بها ضريح يرجح إنه قبر فاطمة أبنة الخليفة معاوية رضى الله عنه(العليمي،1999م،93/2) وهي اليوم مساكن يقطنها آل البدري(العارف، 1988م،ص 254).

- المدرسة العثمانية:

تنسب المدرسة لواقفتها أصفهان خاتون خانم وهي إمراه من أكابر الروم وقد أوقفت عليها أراضي وضياع ببلاد الروم وغيرها من البلاد وموقعها بباب المتوضأ ويرجح تاريخ بنائها سنة 840هـ/1436م حيث دفنت الواقفة بالتربة المجاورة لسور المسجد الأقصى(كرد،1980م، 118/6)، وقد اعتمدت المدرسة على تدريس المذهب الحنفي في القدس ويظهر ذلك جليا في تصدي كبار علماء المذهب الحنفي للتدريس في علومها المختلفة(العارف،1988م،ص179).

- المدرسة الجوهرية:

موقعها بباب الحديد باتجاه المدرسة الأرغونية على بعد أمتار من باب الحديد إلى الغرب وبعضها الآخر على رباط كرد، وينسب وقفها للصوفي جوهر زمام الادر الشريفة سنة 844هـ/1440م(العارف،1988م،ص255) ومن أشهر من تولى التدريس الشيخ العلامة برهان الدين أبو اسحق إبراهيم من علماء بيت المقدس الافذاذ عرف عنه التقوى والصلاح وخلف والده في قراءة مصحف الملك الظاهر جقمق بالصخرة المشرفة وتدريس القرآن بالمدرسة الجوهرية ووصل إلى مرتبة أعيان بيت المقدس وتصدر الإفتاء والتدريس ونفع بعلمه المسلمين سائرا على طريق السلف الصالح صحيح الفتوى ذو صيت وسمعة حسنة عند الجميع ، وله الكثير من المصنفات منها شرح الجوامع في الأصلين ونظم الإرشاد في الفقه وشرح الفيه أبن مالك في النحو والصرف وشرح التقريب والتبيين في علوم الحديث وتوفى سنة 921هـ/ 1516م (العليمي،1999م،283/2-284)

- المدرسة الأشرفية:

كان البناء القديم لهذه المدرسة ينسب للملك الظاهر خشقدم بواسطة الأمير حسن الظاهري، وبعد وفاته آلت للسلطان الأشرف برسباي فنظم أمورها وصرف مستحقات شيوخها من الفقهاء والصوفية، وعند حضور السلطان لزيارة القدس سنة 880هـ/1475م لم يعجبه بنيان المدرسة فأمر القاضي أبو البقاء الجيعان سنة 885هـ بهدم المدرسة وتوسيعها والبداء في بناء الأساس الجديد وشرع المهندسون في بناء المجمع السفلي الملاصق لرواق المسجد من جهة الشرق (العليمي،1999م،454/2)

تم الانتهاء من بناء المدرسة الأشرفية سنة 887هـ/1482م ونسبت للسلطان الأشرف برسباي في حرم المسجد الأقصى الشريف بجانب باب السلسلة حيث تزينت بالرخام وعمل بها المهندسون والمعماريون من بلاد مصر الموفدين من قبل الملك الأشرف، كما ركبت لها الأبواب الخشبية التي زادت من جمالها وكانت تتألف من طابقين الأول سفلي ملاصق لرواق المسجد الأقصى من الناحية الشرقية وباب آخر من ناحية الشمال وبجواره شباك مطل على الرواق أسفل المدرسة العثمانية والباب الأخر من الناحية الشرقية ويتكون من أربع أووين متقابلة القبلي منها هو الأكبر ويحتوي على محراب وشبابيك مطلة على المسجد الأقصى والايوان الشمالي يوجد به شبابيك مطله على المسجد الأقصى أما الأيوان الشرقي به ثلاث قناطر على عمودين من الرخام يعلوها إضاءة من الزجاج الافرنجي في غاية الجمال به شباك يطل على صحن المدرسة(العليمي،1999م،456/2)

أدخل السلطان الأشرف كل ما هو جميل في غاية الحسن على المدرسة المنسوبة إليه حيث قيل عنها في بيت المقدس جوهرتان قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة فصارت المدرسة الأشرفية جوهرة ثالثة، كما شيد الأشرف إلى جانب المدرسة منشئات أخرى منها السبيل المقابل للمدرسة من داخل المسجد الأقصى على البئر المقابل لدرج الصخرة الغربي حيف فرش أرضه بالرخام وصار في أجمل صورة ، كذلك الفسطية قبلي المصطبة المجاورة للسبيل من باب السلسلة وباب السكينة حيث استفاد الناس منها في الوضوء وغيره (العليمي،1999م،457/2)

عين السلطان الأشرف قاتيباي لمشيخة المدرسة في القدس الشريف شيخ الإسلام الكمالي ابن أبي الشريف المقدسي المتوفي سنة (906هـ/1500م) وأرسل في طلبه وحته على قبول المشيخة فأجبه لذلك فقد ألبسه السلطان كاملية وتوجه من القاهرة إلى القدس يصحبه عدد من الأمراء والقضاة والقراء السلطانية ودخلوا إلى بيت المقدس سنة 890هـ/1485م، فجلس الكمالي بالمدرسة والقى درسا حضره شيوخ القدس والقضاة وعامة الناس وكان يوما مشهودا حيث رتب الكمالي الوظائف بالمدرسة ونظم أمورها واستوطن الكمالي بالقدس الشريف(العليمي،1999م،461/2) ، كما أوقفت على المدرسة على يد السلطان الأشرف

ثمان وعشرون قرية من غزة وقريتين تابعتين للرملة وتربة للقدس وثلاث للخليل كذلك البساتين والحمامات والمزارع، كما تحوي المدرسة على خزائن للكتب يقوم على إدارتها أمين مكتبة يعرف بخادم الربعة الشريفة(العارف،1988م،ص254) .

- المدرسة المزهرية:

تقع المدرسة عند باب الحديد بالقرب من المدرسة الجوهرية وتنسب لواقفها المقر الزيني أبوبكر بن مزهر الانصاري صاحب ديوان الانشاء بالأراضي المصرية، حيث تقع المدرسة أعلى المدرسة الارغونية وبعضها الآخر على أروقة المسجد الأقصى وقد تم الانتهاء من بنائها سنة 885هـ/1480م(العليمي،1999م،462/2)، وقد حضر واقف المدرسة إلى القدس لزيارة المدينة ورؤية مدرسته فمرض وغير وجهته إلى القاهرة ولم يتمكن من الحضور للمدرسة التي اوقفها وتوفى يوم الخميس السادس من شهر رمضان سنة 893هـ/1487م (العارف،1988م، ص255) .

- الزوايا :

هي مكان معد للعبادة وعمل الصالحات وتحتوي على غرف الصلاة وضريح للصالحين وأماكن للضيوف من المسافرين وعابري السبيل والطلاب وتدرس فيها علوم الدين والقرآن الكريم وغيرها (العسلي،1990مص 465)، وقد عرفت الزوايا في عصر المماليك البرجية فكانت البعض منها منفردا وبعضها الأخر مجاور للمدارس كذلك أوقف عليها المماليك البرجية واشتملت على قبور مؤسسيها، كذلك عملت الزوايا كمراكز علمية في حرم المسجد الأقصى وما حوله واشتملت على تدريس العلوم الأساسية وعلوم القرآن والحديث والفقه والقراءات ومن أشهر الزوايا في عصر المماليك البرجية مايلي:

- الزاوية الصلاحية:

تقع الزاوية الصلاحية ملاصقة للمدرسة الصلاحية وجزء لا يتجزأ منها، حيث يعود بنائها للعصر الأيوبي على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 588هـ/1192م ،حيث بينت وقفية المدرسة التي كتبت على وجهيته المدرسة جملة أوقاف المدرسة والزاوية من القرى والبساتين، حيث استمرت المدرسة في نشر العلم خلال العصر المملوكي الأول والثاني فكانت تقود الحركة العلمية في القدس واشتملت الزاوية الصلاحية على تدريس العلوم الشرعية من الحديث والفقه والقراءات والفلسفة والنقد وبرز منها علماء أناروا الحياة الفكرية في القدس في عصر الدولة البرجية منهم الشيخ برهبان الدين أبو اسحق إبراهيم بن الشيخ نجم الدين أحمد بن غانم الأنصاري الشافعي شيخ الزاوية الصلاحية بالقدس ولد سنة 780هـ /1378م فقد نشأ وتربى على العلم

تولى مشيخة الزاوية الصلاحية سنة 797هـ/1394م عمر الزاوية وأقام نظامها وتوفى في القدس سنة 839هـ/1435م(العليمي،1999م،2/271-272).

- الزاوية الوفائية :

تنسب الزاوية لمؤسسها تاج الدين أبو الوفا محمد وسميت بأسمه وموقعها بباب الناظر بالقرب من المدرسة المنجكية، حيث بيعت المدرسة أيضا للمؤسس أبو الوفا سنة 782هـ/1380م، وقد عرفت الزاوية أيضا بدار الشيخ أبن الهائم ويسكنها في وقتنا الحاضر آل البدري(العليمي،1999م، 275/2)

ومن أشهر شيوخ الزاوية الوفائية مايلي:

1- تقي الدين أبوبكر بن الشيخ تاج الدين أبي الوفا محمد الشافعي: تولى مشيخة الزاوية الوفائية بالقدس وعرف عنه التقوى والصلاح والكرم والعطف على الناس كما تزعم رئاسة شئون القراء في القدس(العليمي،199م،185/2).

2- الشيخ برهان الدين أبو اسحق إبراهيم بن الشيخ القدوة علاء الدين أبي الحسن بن الشيخ أبي الوفا البدري الشافعي : درس الصوفية على يد شيوخ الطرق الصوفية وعلى طريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتولى مشيخة الزاوية الوفائية في القدس(العليمي،1999م،158/2).

- الزاوية القرمية:

تنسب الزاوية للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القرمي، قدم للقدس ولزم الزاوية وعرف عنه الصلاح والتقوى كما أوقف عليها الكثير من المزارع والبساتين وقامت الزاوية بدور كبير في الاشتغال بتدريس الحديث وقام شيوخها بتعليم أصول الدين وعلم الحديث والتصوف واستمرت الزاوية في تدريس العلوم الشرعية حتى توفى صاحبها سنة 788هـ/1386م ودفن فيها(أبن حجر،1999م،56/2).

- الزاوية القلندرية:

تأسست الزاوية سنة 794هـ/1392م وتقع وسط مقبرة ماملا وهي كنيسة قديمة من عصر الروم، عرفت بالدير الأحمر وتنسب الزاوية إلى إبراهيم القلندري الذي أقام في الزاوية مع الفقراء، وقد عاصر القلندري عهد الست طشنق الطفرية فكانت تهتم بمؤسس الزاوية والفقراء الذين معه وصممت داخل الزاوية قبة على قبر أختها بهادر(العليمي،1999م،202/2).

- زاوية الشيخ يعقوب العجمي:

تقع بالقرب من قلعة القدس من بناء الروم حيث كانت كنيسة قديمة ثم أصبحت زاوية ومن أشهر شيوخها الشيخ يعقوب العجمي والذي نسب الزاوية له، وفي نهاية عصر المماليك البرجية عرفت بزاوية شمس الدين أبن الشيخ عبدالله البغدادي من عدول القدس حيث سكن الزاوية وعرفن بأسمه وتوفي سنة 885هـ/1480م(العليمي،1999م،99/2).

- الخوانق :

تعني الخوانق باللغة الفارسية البيت وأصلها خونقاه بمعنى الذي يأكل فيه الملك، حيث وضعت الخوانق كمكان ينعزل فيه الصوفية للعبادة وتختلف الخوانق عن غيرها من المؤسسات الدينة من حيث كبر المساحة وتتسع لعدد كبير من أتباع الطرق الصوفية (المقريزي،1998م،217/3)

ومن أشهر الخوانق في عصر المماليك البرجية مايلي:

- الخانقاه الصلاحية:

تنسب إلى مؤسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة583هـ/1187م وموقعها في كنيسة القيامة حيث اوقفها السلطان الأيوبي على مشايخ الصوفية ورتب أمورها ووقف عليها البساتين والحمامات ، واستمرت في مسيرتها حتى نهاية العصر المملوكي الثاني(أبن العماد،1975م،ص319)، وخلال العصر المملوكي الثاني قام شيخها برهان الدين بن غانم ببناء منارة لها سنة 820هـ/1417م ،وقد ساء بناء هذه المنارة الطائفة النصرانية في القدس وحاولوا دفع أموال طائلة له على ان يتخلى عن بنائها ولكنه لم ينصت لهم فكانت الخانقاه نبراسا للعلم ومساهمة في تدريس العلوم مثل الفقه والحديث والقراءات وغيرها(العارف،1988م،ص 179).

ومن أشهر شيوخ وعلماء الخانفاه الصلاحية في عصر المماليك البرجية ما يلي:

1- إبراهيم بن أحمد بن غانم بن الشيخ جمال الدين بن علي البرهان المقدسي:

من أشهر مشايخ الخانقاه الصلاحية في القدس وينسب له بناء منارة الخانقاه وتوفى سنة 839هـ/1435م (العليمي،199م،217/2).

2- محمد بن عبد الله بن محمد بن غانم ناصر الدين الجمال بن ناصر الدين الغانمي المقدسي الشافعي:

ولد في مدينة القدس الشريف حيث نشأ على حفظ القرآن وعلوم الشريعة حتى تولى مشيخة الخانقاه الصلاحية مناصفة مع الشيخ جلال الدين محمد بن أبي البقاء بن جماعة وظل بها حتى توفى سنة 897هـ/1492م بمرض الطاعون(العليمي،1999م،265/2).

- الخانقاه الموصلية:

تقع الخانقاه في الجهة الشمالية من الحرم القدسي شمال المدرسة الدودارية قرب باب شرف الأنبياء، وتنسب لمؤسسها الخوجا عبد الملك بن أبي بكر الموصلي سنة 831هـ/1427م، حيث تحتوي على قاعات للدراسة ومساكن للطلاب، كما أوقفت عليها مجموعة من القرى والمزارع في نواحي القدس الشريف ويذهب ريعها للإنفاق على الخانقاه والمقيمين فيها من الطلاب والشيوخ وغيرهم (ربايعة،1998م،ص 817).

- الرباطات :

عرفت بالمكان الذي يجتمع فيه المجاهدين لقتال الأعداء لدواعي الاستقاظ وشحذ الهمم، حيث تعددت الرباطات في كل المناطق المتاخمة للعدو لليقظة والاستعداد للمواجهة في أي لحظة، وقد أصبح الرباط بعدها رمزا دينيا للزهد والتصوف ومكان لعابري السبيل القادمين للراحة والسكن والتعلم(المقريزي،1990م،420/3) .

- الرباط الزمني:

ينسب الرباط لواقفة الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن أحد خواص الملك الأشرف قاتيباي، وموقعه عند باب المتوضأ في جهة المدرسة العثمانية تأسس سنة 881هـ/1476م وقد كتب تاريخ الانشاء على رخامة مثبته أعلى الباب تقول " انشى هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجكي الشمسي محمد بن الزمن خادم الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بتاريخ أحد وثمانين وثمانمائة وصلى الله على سيدنا محمد " وتوفى الوقف الخوجا سنة 897هـ/1491م(العليمي،1990م،90/2).

كانت المراكز العلمية في القدس في عصر دولة المماليك الثانية منارات للعلم ودليل على الحضارة الإسلامية في عصر المماليك البرجية، حيث اجتمع فيها الدور الديني فكانت مكانا لأداء الصلوات وحلقات الدروس الدينية وتدارس للحديث النبوي ومن ناحية أخرى عملت على تدريس العلوم العقلية، واعتمدت في مواردها الاقتصادية على تمويل سلاطين المماليك فقد ساهم

الكثير منهم في بنائها، كما عمد الكثير من العلماء والشيوخ إلى تأسيس مدارس وزوايا نسبت إليهم، كذلك الوقف الإسلامي ودوره في تجديد المدارس والزوايا والخوانق والرباطات .

الخاتمة:

مثلت مدينة القدس عبر العصور الفردوس العلمي والأمل المنشود لجميع الملوك والسلاطين وطلاب العلم والعلماء والشيوخ في تلقى العلم بجوار المسجد الأقصى وقبة الصخرة وأبواب المدينة وساحاتها المقدسة ومن هنا حظيت المدينة في عصر المماليك الجراكسة بالاهتمام الواسع من قبل سلاطين المماليك الذين جعلوا زيارتها عند تنصيبهم بالحكم واجب مقدس وأولوية عظمى لما لها من مكانة سامية في نفوس الناس ولمكانتها العلمية الراقية في بلاد الشام فكانت السبيل لتقوية ملكهم وازدياد شهرتهم بين الناس وارتفاع مقامهم عند العلماء.

فقد سار سلاطين الجراكسة على خطى اسلافهم في تعظيم مكانة القدس وخصها بالمعاملة الحسنة فقاموا بردع الولاة الظالمين في المدينة وايداعهم في السجون ورد المظالم إلى أهلها وتنفيذ كل مطالب المدينة والنظر في كل ما ينقصها من مصادر المياه وجر القنوات وحفر السبل لتزويد المياه بالماء الذي يعين أهلها على العيش الكريم والتفرغ للبحث في العلم والتكفل بتوفير المناخ الملائم لطلاب العلم للنهل من معين علومها.

ساهم سلاطين الجراكسه بدور كبير في نشأه المراكز التعليمية في القدس باعتبارها الشريان الحيوي للمدينة الذي يضمن انتشار العلم وتدفق الطلاب وتفنن العلماء والشيوخ في التدريس والتأليف، حيث اعتمد سلاطين الجراكسة على أموالهم الخاصة في بناء المراكز والوقف عليها من مخصصات الوقف أو الأموال والأراضي والبساتين والأسواق والخانات لضمان تدفق الأموال لها وصرف مستحقات العاملين بها وتوفير المناخ الجيد لطلاب العلم بدفع الأموال لهم وتفرغهم للدارسة، في حين ساهم الأمراء ورجال العلم من كل انحاء دولة المماليك الجراكسة في الوقف على المراكز العلمية وترميمها وكثير من المراكز العلمية احتوت على قبور المؤسسين أو الواقفين لها كعرفان لدورهم الرائد في تأسيسها .

تعددت المراكز التعليمية في مدينة القدس فشملت الكتاتيب والمدارس والزوايا والخوانق والرباطات ولكلا منها دورها في التعليم بطريقتها الخاصة ، كما اتبعت المراكز العلمية مناهج دينية مختلفة على حسب المذهب الديني الخاص بها فمنها الشافعي ومنها الحنبلي وغيرها، كذلك احتوت الكتاتيب على غرف خاصة بتعليم الأطفال العلوم الأساسية مثل القراءة والكتابة والقرآن الكريم

والاحاديث النبوية وتقتصر على الأطفال الايتام ويتعلمون فيها مجانا ويصرف عليهم من الوقف فيما يدفع التلاميذ القادرون مبالغ مالية للشيوخ مقابل تعليمهم، وبعد نجاحهم ينتقلون للدراسة في المدارس وغالبا ماتكون الكتاتيب ملحقه بالمدارس وتابعه لها

تحتوي المدارس على تركيبة تعليمة راقية وفصول دراسية تستوعب كل الطلاب وأماكن خاصة بالطلاب القاطنين بها من خارج المدينة كما تدرس فيها علوم الفقه والقراءات والاحاديث النبوية والمنطق والتفسير والرياضيات والفلسفة وغيرها ويتولى التدريس علماء مشهود لهم بالقدرة والكفاءة ومدة الدراسة أربع سنوات تنتهي بتخرج الطلاب وحصولهم على الإجازة العالية في التدريس بتوقيع من مشيخائهم وعلمائهم بعد امتحانات خاصة بذلك، كذلك تمتعت مدارس القدس ببناء معماري إسلامي مشهود له بالإتقان والتميز وبالغ فيه السلاطين في تجميل المدارس بالأحجار والنحت على الأبواب وبها ملحقات لغرف العمال والصلاة وبعضها يشمل قبور المؤسسين لها والواقفين عليها ، فقد ساهمت المراكز العلمية جميعها في نشر العلم وترسيخ المعرفة في المدينة المقدسة وماحولها.

THE SCIENTIFIC CENTERS IN JERUSALEM City DURING THE MAMLUKES BURGI ERA (784 - 922 AH / 1382 – 1516 AD)

Abstract: This study discusses the circumstances of knowledge activities in the Jerusalem city throughout the history of the Mamluks kingdom. Also, it is to explore the educational system in the Jerusalem, its significant factors and how far the Islamic endowment facilitates the academic activities and help preserve religious and academic institutions from collapse. Likewise, it is to investigate the pyramid of function and knowledge of the academic institutions in the city and its reflection in the civilizational progress and the prolific scholars of the Jerusalem.

المصادر والمراجع العربية:

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (**1830**) **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية ،باريس.

-أبن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (**1984**) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

- أبن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن، (**1990**)**المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،ج6

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، 1993م ، ج14 .

-أبن حجر، شهاب الدين أحمد، (1994)، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ج1،ج2 .

- أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (**1994**)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج15 .

- الحموي ، أبو عبد الله ياقوت ، (**1995**)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ،ج5 .

- خسرو، ناصر، (**1970**)، **سفر نامة**، تحقيق يحي الخشاب، بيروت، لبنان.

- الدباغ، مصطفى، (**1991**) **بلادنا فلسطين**، دار الهدي، بيروت،ج9.

- ربايعة، إبراهيم، (**1980**)، **الخوانق في القدس في العهد العثماني**، مجلة الجامعة الإسلامية، القدس،المجلد 18.

-السخاوي، شمس الدين محمد، (**1992**)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ج3 ،ج9 .

-السيد، علي محمد، (**1986**)، **القدس في العصر المملوكي**، دار الفكر للنشر والطباعة، القاهرة.

- الشوكاني، محمد بن علي، (**د.ت**)**البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج2.

-العارف، عارف، (**1988**)، **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف، القدس.

- عرفة، عبده، (**2007**)، **القدس العتيقة**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

- العسلي، جمال، (**1990**)**الحياة الفكرية في فلسطين**، الموسوعة الفلسطينية، بيروت م.

-العليمي، مجير الدين الحنبلي، (1999) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس، مكتبة دنيس، عمان ،ج2.

- القزويني، (**1960**)،**آثار البلاد وأخبار العباد**، دار بيروت، لبنان.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (**1914**)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ج3.

- كرد، محمد على، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق،ج6 .

-المقريزي، تقي الدين أحمد، (**1997**). **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**،(**1998**)،تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة، ج3 ،ج1.

- النفر، محمد حافظ، (**2006**)، **تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي**، دار البداية ، الأردن.